المبحث الأول: لمحة عن شخصية زكي نجيب محمود

المطلب الأول : حياته:

مع بروز القرن العشرين (20) للميلاد، ولد زكي نجيب محمود من أبوين مصريين عربيين مسلمين، وفي هذا المقام يقول مفكرنا العربي عن قصة نشأته: ((**ولدت في اليوم الأول من شهر فبراير عام 1905 م بقرية <ميت الخولي عبد الله >، بمحافظة دمياط في الشمال الشرقي من دلتا النيل**))[1]

مع العلم فلقد كان مفكرنا حريصا دائما على ربط سنة ميلاده ونشأته بالحادثة المفجعة والمأساوية التي ذهب ضحيتها عشرات بل مئات المصريين من طرف الاستعمار الإنجليزي البغيض، إنها حادثة ونكبة <<دونشواي>>.

لذلك يحدثنا عن تلك الواقعة، يقول: ((ولدت في أوائل هذا القرن قبل تفجع البلاد في <<دونشواي>> بعام واحد)) [2] إلا أن لهذه القرية أو المدينة التي نشأ فيها اسم آخر نجده يذكره دائما وغالبا ممزوجا ومقرونا باسمها الذي عرفته واشتهرت به فيما بعد، لأن الاسم الثاني يبدو أنه بقي سجين كتب ومتون التاريخ كما يبين ويؤكد ذلك هذا الأخير، حين يقول: ((وقد تذكر قريتنا في كتب التاريخ أحيانا باسم منية عبد الله)) [3]

وإن كان زكي نجيب محمود لم يتكلم عن اخوته بطريقة مباشرة، إلا أننا نلمس منه تلميحات مختلفة، وهو يتكلم في سيرته الذاتية والعلمية، التي تشير بأن له إخوة.

أما فيما يخص كلامه عن وفاة وموت أخ له، فيقول :((...وتجسدت لي العلاقة بين الأرض والسماء، كم هي قريبة إذ شاء الله ذات يوم، وكان قد جاء إلى الأسرة وافدتان جديدتان هما أختان، ثم وافد ثالث هو أخ لم يلبث على وجه الأرض إلا عاما وبعض العام)) [4]

في الواقع هذه العبارة تبين وتشير بشكل واضح وجلي أنه كان الولد البكر لوالديه، إذ أنه لم يتحدث لنا إلا عن هاتين الأختين اللتين جاءتا بعده، وعن الأخ الذي وافته المنية، إلا أن هناك إشارة أخرى توضح أن أخا آخر توفي في حياته أقل منه بحوالي عشرين عاما، لذلك يخبرنا عنه بقوله : ((وجاءت الضربة الثانية لتكون أفدح، فقد أصابت المنايا بخطبها العشوائي أصغر أشقاء الأحدب، بعد أن كان هذا الأحدب، يتوهم أن مقادير الحياة والموت تجري على حساب الأعمار، كان بينه وبين شقيقه الأصغر ما يقرب من عشرين عاما، وكان لأخيه الأحدب حبة قلب، وقرة عين وموضع زهو، ومنبع حب، لكن هل تغفو عنه عين القدر لينعم بحياته صحيحة سليمة؟ كلاّ بل أصابه بالعلة التي أخذت تستفحل وتستعصي حتى انتقلت به إلى رحاب الله)) [5]

---

[1] - روبرت كامبل اليسوعي، أعلام الأدب العربي المعاصر، ج2، ط1، الشركة المتحدة للتوزيع، لبنان، سنة 1997 م، ص:1988 م

[2] - زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق، ط2، سنة 1979م، القاهرة، ص: 208.

[3] - زكي نجيب محمود، في مفترق الطرق، دار الشروق القاهرة، سنة 1985 م، ص: 171.

[4] - زكي نجيب محمود، قصة نفس، ط4، دار الشروق القاهرة، سنة 1993م، ص ص: 77، 78.

[5] - زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص ص: 168، 189، 170.

أما بالنسبة إلى تلك العلاقة التي كانت تجمع مفكرنا العربي بوالديه فيخيل إلي أنها كانت غير طبيعية وعادية، وإن كانت لا تختلف كثيرا عن أوضاع الأسر الريفية النائية، وهذا في الواقع يرجع إلى عدة أسباب كثيرة جدا، منها ما هو ذاتي، وآخر ما هو موضوعي في آن واحد، ذاتية وارتباطها بشخصية الطفل **زكي نجيب محمود** شخصيا، خصوصا عندما شعر لأول وهلة ضعف بصره، وموضوعية لتلك المعاملات القاسية التي كان يمارسها أبوه عليه، مع العلم أنه يدرك صغره من حيث السن إن والده لم يكن يقصد أن يرمي في سعيه ذاك سوى تربيته وإصلاحه، وإن بقيت آثار تلك المعاملة الصارمة والقاطعة، ماثلة في شخصيته، وفي مقابل أبيه نجد الأم بعطفها وحنانها الذي تزرعه وتقحمه على الطفل بغير حساب، الأمر والشيء الذي ترك آثاره الحسنة في نفسه، وإن بقيت صورة هذه الأم مغروسة في ذاكرته ومخيلته، لتترك المجال واسعا أمام الأب الذي تكاد صورته تملأ وتعم جو الأسرة بكامله، وفي هذا الموقف بالذات يصور لنا هيئة وشكل ذلك الأب ليقول: (العجب أنّي حينما أعود بالذاكرة إلى سن الطفولة الأولى، فسرعان ما أصطدم بشخصية أبي تملأ مسرح الحوادث، ولكني مهما حاولت فلا أعثر على صورة أمي عندئذ فأين كانت؟ هل كانت من الخفاء والانطواء بحيث تمحى من صفحة الذاكرة، فلا يسمع لها صوت ولا يظهر لها أثر؟) [1]

ومن هنا كان الاهتمام المتزايد من قبل الأب لأبنائه ومحاولاته الدائبة لجعلهم على صورته، ليس يراعي في ذلك مراحل الطفولة التي يجب على الطفل أن يمر بها، أو تأثير تلك الطريقة في التربية على نفسية الطفل الصغير ما يحب لنفسه وهو الرجل الذي تقدمت به السن، ومن هنا كانت غلطته الكبرى في تربية أبنائه، كان وقورا فأحب لي أن أكون وقورا مثله، ولما كانت طبيعة الطفل تأبى الوقار فقد فرضه علي فرضا وأرغمني عليه إرغاما، فلابد أن يكون قد أطفأ في نفسي الناشئة ما كان عساه أن يذكر لو ترك على طبيعته حرا، فنصيحتي للكبار ألا يحبوا لصغارهم ما يحبونه. [2]

وتأسيسا على ما سبق ذكره سالفا، يمكن القول بأن أبرز ظاهرة أثرت تأثيرا بالغا في الطفل <**زكي نجيب محمود**>، فأصبحت تطارده وتلازمه وتملك عليه مشاعره وهواجسه إنما ضرب الأب للطفل، وشفع ذلك الضرب بعبارة وجملة بقيت مرسومة في ذاكرته، والأكثر من ذلك أنها أحدثت شرخا واسعا في شخصيته، بقي ملازما له طول حياته، إنها بمثابة الدافع الرئيسي لنفسية الطفل نحو العزلة والانطواء على الذات والهروب خوفا من الشخص الآخر مهما كان شكله، حتى اعتدت تلك العبارة، وهي ترن في مسامعه بعمق تلك المعاني والمفاهيم الوجودية، هو غلة بالطفل في سراديب التشاؤم والاغتراب والاستلاب الروحي والمعنوي بمختلف أنواعه وأشكاله، لذلك يقول لنا الأستاذ عن تجربته تلك في هذا التصريح: ((... حدث يوما حين ناولني أحد أصدقائه شيئا قائلا : تفضل، فأجبته بكلمة <العفو>، وأعاد الرجل قوله <تفضل> وهو يضحك، فأعدت جوابي بكلمة <العفو> فأمهلني أبي حتى انفرد بي، وأخذ

[1] - زكي نجيب محمود، قصة نفس، المصدر نفسه، ص:41.
[2] - زكي نجيب محمود، أفكار ومواقف، ط2، دار الشروق، القاهرة، سنة 1987م، ص:361

يقرعني على هذا الخلط المعيب الذي خلطت به كلمة <العفو>، بكلمة <متشكر> دعاني أبي يومئذ من داخل البيت لأحيي ذلك الرجلين، وحييتهما بما حفظت من عبارات التحية، فقال صاحب الشارب الراقص، هل تذهب إلى المدرسة ؟ قلت : نعم، قال: تهج اسمك، قلت: ري .أض، رياض. قال: ما شاء الله، فأراد أبي أن يزيد الصورة جلاء وسألني سؤالا في الحساب، لكني لم أسرع له بالجواب فضربني بكتاب ضخم على رأسي، فقال صاحب الشارب الراقص وهو يضحك:< **أهكذا تضربه بالدنيا كلها على رأسه؟**>.

ولم أفهم لهذه العبارة معنى ساعتئذ أذكر كيف عز علي نفسي أن أضرب بالدنيا كلها على رأسي فانفجرت باكيا، ولست أدري الآن كيف استطعت أن أوقف البكاء، لكني فعلت وأعاد والدي سؤاله الحسابي من جديد وأراد الجواب السريع، لكني في هذه المرة أعجز عن الجواب مني في المرة الأولى، وحملني بين ذراعيه حملا، وقذف بي خارج الغرفة كما يقذف اللاعب بالكرة، وقال متّجها نحو صاحب الشارب الراقص في نغمة هادئة: < **لن يعيش لي ولد خائب، فإما أن يفلح أو يموت**>[1]

حقيقة إنها صورة واقعية احتفظ بها **مفكرنا العربي** لأبيه، وفي المقابل هناك صورة أخرى، وهي صورة الأم الحنون بطيبتها وسخائها، وهي في الواقع صورة مخالفة لصورة أبيه تماما، وهو الأمر الذي تجسد في شخصية **زكي نجيب محمود** في تلك العزلة والهروب من الآخر والانطواء على الذات والعيش في برج عاج ، وانطلاقا من تلك المقارنة الأسرية بين أبيه وأمه يقول: ((والحق أن اختلاف الخصال، كان بعيدا بين أبي وأمي، فهو منبسط لا يكاد يخفي من نفسه شيء، وهي منطوية لا تكاد تظهر من نفسها شيئا، وهو لا يخشى الناس ولا يفر منهم، وهي تخشاهم وتفر، هو حريص على إثبات وجوده، وهي حريصة على إنكار وجودها، هو لا يضحي بنفسه إلا قليلا، وهي تضحي بنفسها بحيث لا تبقي لنفسها إلا قليلا، يغلب عليه المرح الصاخب إلا في ساعات قليلة تراه قد سكن، وكأنما هو غارق في فكر عميق، ويغلب عليها الهدوء الصامت في غير جهامة، وعبوس إلا في ساعات قليلة تراها قد أخذت تصيح زاعقة في هذا أو في هذه كأنما تنفس عن طاقة مكبوتة، كلاهما يتعبد ويؤدي الشعائر كلها لكني طالما أحسست أن تعبده موجات على السطح، وأما تعبدها فخفقات من القلب يثور على الناس فتهدئه ملتمسة لهم الأعذار حتى أطلق عليها أبي اسم <الهلباوي> مشيرا بهذا إلى نهوضها للدفاع دائما.

وأما هي فإذا ثارت على أحد من الناس فإنه ينفخ لها في النار ليتردد اشتعالا نعم قد كان اختلاف الخصال فيهما بعيد المدى، ولكن هل بلغ ما بينهما من حدة التباين أن حفظت ذاكرتي كثيرا عن أبي، وأوشكت ألاّ تحفظ شيئا عن أمي، إنه مهما تكن حقيقة الأمر فيقيني هو أني عن أبي أخذت الذكاء، وعن أمي أخذت الخلق، عنه أخذت النفس القلقة الطامحة في عجز، وعنها أخذت الرغبة في التخفي عن قناعة ورضى ومن مزج النقيضين وقع الصراع)) [2]

[1] - زكي نجيب محمود، قصة نفس، مصدر سابق، ص ص: 30–32.
[2] - المصدر نفسه، ص ص:41–42.

بهذا ظهر جليا وبصورة واضحة جدا هذا التلاحم والمزج المتباين والمتناقض في شخصية **مفكرنا العربي**، ليترك أو يحدث آثارا عميقة جدا في فكره و حياته لم تستطع الأيام أن تمحوها من ذاكرته، وهذا رغم أن زكي نجيب محمود استطاع أن يتأقلم ويتكيف معها ويخضعها لشتّى الظروف التي مر بها بفضل حنكته وإرادته الخارقة للعادة والفذة، وطموحه الكبير جدا، ورغم ذلك الإحساس والشعور الكامن والمخزون والدفين بالانعزال عن الآخرين الذي كان يرى فيه النشوة والسعادة والاستقرار والطمأنينة والراحة النفسية كلما تسنى له ذلك، وبالتالي نجده يقول عن تلك الحالة: ((وأما انطوائي فهيهات أن يرى منه الرائي بمقدار ما أحسه في باطني، لأن فيما يراه منّي الرائي تكلّفا وتصنّعا قد يخفيان إلا على الخبير رائع الناس أنّني كلما عدت إلى داري – بعد عمل اليوم أحسست وأنا أغلق الباب من دوني – بنشوة العائد إلى مسكنه بعد أن تعرض لأهوال الغابة، ولست أعرف كيف يحس الأرنب المطارد حين يلوذ بحجره، لكنّني كلّما عدت إلى داري بعد عمل اليوم ارتسمت في ذهني صورة الأرنب الراجف عادت إليه الطمأنينة، بعد أن لاذ بمأواه إنني لأخاف الخروج من مكمني كما يخاف العليل برئيه أن يعرض نفسه للفحة البرد، وقد أتشجع فأواجه الناس لكنني وحدي أعلم الناس بما يرتجف من نفسي عندئذ، فمثل هذه الشجاعة عند الظاهرة كثيرا ما تكون خجلا معكوسا، قل إنه ضعف، وقل إنه مرض، لكن هو الواقع على حقيقته، ومرة أخرى أقول إنها طبيعة معوقة لصاحبها عن السير السريع في ركب الحياة لكنها هي طبيعتي)) [1]

هذه نبذة عن حياة السيد **أستاذنا الفاضل**، وعن الظروف القاسية التي مر بها، أما فيما يتعلق ويخص بمراحل تعليمه وتدريسه في الجامعة، فهذا ما سنذكره في النقطة الثانية من حياة مفكرنا الراحل عنا منذ عشرية قد خلت.

المطلب الثاني : آثاره الفكرية :

أ/ المؤلفات:

1- زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة اليونانية**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة 1935 م، بالاشتراك مع أحمد أمين.

2- زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة الحديثة**، جزءان، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة 1936م، بالاشتراك مع أحمد أمين.

3- زكي نجيب محمود: **شكسبير**، القاهرة، سلسلة إقرأ، سنة 1943 م.

4- زكي نجيب محمود: **قصة الأدب في العالم**، بالاشتراك، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، أنجز منه أربعة أجزاء، ج1- 1943م، ج2- سنة 1945م، ج3-1945م، ج4-1948م.

5- زكي نجيب محمود: **جنة العبيط**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1951م.

6- زكي نجيب محمود: **شروق من الغرب**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1951م.

[1] - المصدر نفسه، ص ص:43–44

7- زكي نجيب محمود: **المنطق الوضعي**، ج1، المكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، سنة 1951م.
8- زكي نجيب محمود: **أرض الأحلام**، دار الهلال، القاهرة، سنة 1952 م.
9- زكي نجيب محمود: **خرافة الميتافيزيقا**، دار النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1953م.
10- زكي نجيب محمود: **والثورة على الأبواب**، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1955م.
11- زكي نجيب محمود: **أيام في أمريكا**، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، سنة 1955 .
12- زكي نجيب محمود: **نظرية المعرفة**، مكتبة الأنجلومصرية، سنة 1955 م.
13- زكي نجيب محمود: **حياة الفكر في العالم الجديد**، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، سنة 1956 م.
14- زكي نجيب محمود: **برتراند راسل**، دار المعارف، القاهرة، سنة 1956 م.
15- زكي نجيب محمود: **قشور ولباب**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957م.
16- زكي نجيب محمود: **ديفيد هيوم**، دار المعارف، القاهرة، سنة 1958م.
17- زكي نجيب محمود: **نحو فلسفة علمية**، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة 1958م، (وهذا الكتاب نال به المؤلف جائزة الدولة التشجيعية سنة 1960 م.
18- زكي نجيب محمود: **الشرق الفنان**، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة العالمية، القاهرة، سنة 1960م.
19- زكي نجيب محمود: **المنطق الوضعي**، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1961م.
20- زكي نجيب محمود: **جابر بن حيان**، مكتبة مصر، القاهرة، سنة 1961م.
21- زكي نجيب محمود: **فلسفة وفن**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1963.
22- زكي نجيب محمود: **قصة نفس**، القاهرة، سنة 1965م.
23- زكي نجيب محمود: **وجهة نظر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1967م.
24- زكي نجيب محمود: **تجديد الفكر العربي**، دار الشروق، بيروت، سنة 1971م.
24- زكي نجيب محمود: **المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، القاهرة، 1972م.
26- زكي نجيب محمود: **قصاصات الزجاج**، دار الشروق، بيروت، سنة 1974م.
27- زكي نجيب محمود: **ثقافتنا في مواجهة العصر**، القاهرة، سنة 1976م.
28- زكي نجيب محمود: **مجتمع جديد أو الكارثة**، القاهرة، سنة1978 م.
29- زكي نجيب محمود: **في حياتنا العقلية**، دار الشروق، بيروت والقاهرة،1979.
30- زكي نجيب محمود: **من زاوية فلسفية**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، 1979م.
31- زكي نجيب محمود: **في فلسفة النقد**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، 1979م.
32- زكي نجيب محمود: **هذا العصر وثقافته**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، 1980م.
33- زكي نجيب محمود: **مع الشعراء**، دار الشروق، ط2، بيروت والقاهرة، 1980م.
34- زكي نجيب محمود: **هموم المثقفين**، دار الشروق والقاهرة، سنة 1981م.
35- زكي نجيب محمود: **أفكار ومواقف**، دار الشروق والقاهرة، سنة 1983 م.

36- زكي نجيب محمود: **موقف من الميتافيزيقا**، دار الشروق والقاهرة، سنة 1983م، ط2 من كتاب (خرافة الميتافيزيقا) الذي صدر عام 1953 م.
37- زكي نجيب محمود: **الكوميديا الأرضية**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، 1983م، وهي الطبعة الثانية من كتاب <**والثورة على الأبواب**> الذي صدر 1955م.
38- زكي نجيب محمود: **قصة عقل**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، سنة 1983م.
39- زكي نجيب محمود: **قيم من التراث**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، سنة 1984.
40- زكي نجيب محمود: **عن الحرية أتحدث**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، 1986م.
41- زكي نجيب محمود: **في تحديث الثقافة العربية**، دار الشروق، بيروت والقاهرة 1987م.
42- زكي نجيب محمود: **رؤية إسلامية**، دار الشروق، بيروت والقاهرة، 1987م.
43- زكي نجيب محمود: **نافذة على فلسفة العصر**، سلسلة الكتاب العربي، العدد 127، 1990م.
44- زكي نجيب محمود: **عربي بين ثقافتين**، دار الشروق، بيروت والقاهرة 1990،
45- زكي نجيب محمود: **بذور وجذور**، دار الشروق، بيروت، سنة 1990 م.
46- زكي نجيب محمود: **حصاد السنين**، دار الشروق، بيروت، سنة 1991 م.

ب/ الكتب التي ترجمها زكي نجيب محمود:

1- زكي نجيب محمود: **محاورات أفلاطون**، وهي أربع محاورات: الدفاع أقريطون أوطيفرون، وفيدون. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة 1936م، عن الإنجليزية.
2- زكي نجيب محمود: **الأغنياء والفقراء** ،ل=ه.ج ويلز لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة 1938 م، عن الإنجليزية.
3- زكي نجيب محمود: **فنون الأدب**، ل =ه.ب. تشارلتون، لجنة التأليف والنشر، 1949م عن الإنجليزية.
4- زكي نجيب محمود: **آثرت الحرية**، ل : فكتور كرافتشنكو – لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة 1949 م، عن الإنجليزية.
5/ زكي نجيب محمود: **قصة الحضارة**، ل = ويل ديورانت – بالاشتراك في ستة أجزاء ترجم منها:

1- **نشأة الحضارة**، سنة 1950 م.
2- **الهند وجيرانها**، سنة 1951 م.
3- **اليابان** –لجنة التأليف والنشر، سنة 1951 م.

6/ زكي نجيب محمود: **تاريخ الفلسفة الغربية**، لبرتراند راسل، الكتاب الأول: في الفلسفة القديمة –لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة 1954 م.
7/ زكي نجيب محمود: **تاريخ الفلسفة الغربية**، لبرتراند راسل، الكتاب الثاني: في الفلسفة الكاثوليكية – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة سنة 1955 م.

8/ زكي نجيب محمود: **الفلسفة بنظرة علمية**، لبرتراند راسل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1956 م.

9/ زكي نجيب محمود: **المنطق، نظرية البحث**، لجون ديوي، دار المعارف، القاهرة، سنة 1958م.

10/ زكي نجيب محمود: **تراث العصور الوسطى**، مجموعة أبحاث أشرف على تحريرها، كراب و جاكوب، بالاشتراك مؤسسة سجل العرب القاهرة، 1967م.

ج/ كتابات زكي نجيب محمود باللغة الإنجليزية:

نشر زكي نجيب محمود العديد من الدراسات والبحوث والمقالات باللغة الإنجليزية أهمها:

1/ ترجم ما يقرب من 300 بيتا من شعر (عباس محمود العقاد) إلى اللغة الإنجليزية شعرا، سنة 1945 م، وقد نشر بعضها في مجلات إنجليزية وأمريكية.

2/ **الفكر المصري الحديث**، لندن، سنة 1947 م.

3/ **الجبر الذاتي (SELF DETERMINATION** ، المطبعة الأميرية، سنة 1948 م، وهي الرسالة التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة لندن، ولهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان: **الجبر الذاتي**، للمؤلف الدكتور إمام عبد الفتاح، الهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، سنة 1973 م.

4/ أرض مصر وأهلها: الولايات المتحدة الأمريكية، سنة 1956 م.

د/ المقالات التي كتبها زكي نجيب محمود:

1/ مجموعة مقالات نشرها في جريدة الأهرام المصرية.

2/ مجموعة مقالات نشرها في مجلة الكتاب المصرية.

3/ مجموعة مقالات نشرها في مجلة تراث الإنسانية المصرية.

4/ مجموعة مقالات نشرها في مجلة الفكر المعاصرة المصرية.

5/ مجموعة مقالات نشرها في مجلة العربي الكويتية.

6/ مجموعة مقالات نشرها في مجلات متفرقة مثل المعرفة السورية، الفيصل السعودية، مجلة كلية الآداب القاهرية، الدوحة.

المطلب الثالث : رحيل زكي نجيب محمود:

لقد توفي المفكر العربي **زكي نجيب محمود** في التاسع (9) من سبتمبر عام 1993م، مات أبرز مفكر من المفكرين العرب، رجل خدم الفكر والثقافة بشتّى ضروبها، والفلسفة على وجه الخصوص في العالم العربي بصفة خاصة، والعالم بصفة عامة دون منازع، فكان آخر عنقود، وآخر مفكر من المفكرين الذين أنجبهم القرن العشرين (20)م، شأنه في ذلك شأن عميد الأدب العربي طه حسين وعباس محمود العقاد، ولطفي السيد، وأحمد حسن الزيات، والأستاذ أحمد أمين، والشيخ العربي التبسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، والعلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، والمفكر الجزائري **مالك بن نبي**، وغيرهم من المفكرين الذين أنجبتهم الحضارة العربية الإسلامية.

لقد سخّر مفكرنا العربي نصف حياته في خدمة الفكر والثقافة بشتى أبعادها، والتجديد متجاوزا في ذلك كل المشاكل التي وافقت أمته، فكان تواقا وطموحا لتحقيق ما يسمى بالمشروع التجديدي والنهضوي لمجتمعه العربي والإسلامي حتى يلحق بالركب الحضاري الغربي، محتفظا بموروثه الثقافي، متفتّحا على الثقافة الوافدة إلينا من الحضارة الغربية، وفي هذا السياق قال **الدكتور عاطف العراقي** عن الرجل يحتل **الدكتور زكي نجيب محمود** مكانة كبيرة في تاريخ الفكر العقلي التنويري في عالمنا العربي المعاصر، من مشرقه إلى مغربه دافع هذا المفكر العملاق عن الاتجاه العقلي التنويري، طوال أكثر من نصف قرن من الزمان بحيث إننا إذا قمنا ببحث قضايا التنوير، والعقلانية وصلتها بالفكر الديني، فإننا لا يمكننا التغافل عن الكتب التي تركها بين أيدينا ، لقد حمل مشعل التنوير طوال حياته، وخاض العديد من المعارك الفكرية متسلحا بالشجاعة الفكرية، وذلك في سبيل الدفاع عن أشرف شيء خلقه الله فينا وهو العقل وربط بين العقل والتنوير في رابطة عضوية، من النادر أن نجد لها مثيلا عند أكثر مفكري العرب المعاصرين)) [1]

لقد غادر مفكرنا العربي عالمنا هذا، بعد أن رأى بقرة عينيه، آثار وملامح الانتكاسة والتخلّف والتقهقر والانحطاط الحضاري، والأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية متردية بسبب غياب العقل والعقلانية من أجل تحقيق مشروعه الحضاري وخطابه النهضوي والتجديدي الذي كان هاجسه الأول والأخير، متّخذا في ذلك العقل كأداة ووسيلة لحل قضايانا الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، من أجل الوصول واللحاق بالركب الحضاري الذي رآه ماثلا في الحضارة الغربية، دون الانسلاخ عن قيم حضارته العربية الإسلامية، هذا باختصار عن مسيرة الرجل الذي هو الأديب والمفكر والفيلسوف والعالم حياة الرجل الفكرية في حلّ مشاكلنا، مع العلم أن العقل هو مفتاح أية قفزة حضارية ونهضوية وتجديدية، وهذا دون التخلي عن القيم والمبادئ العامة التي ورثناها أبا عن جد،

[1] - كلمة الافتتاح –ل= د/ عاطف العراقي، لكتاب: منى أحمد أبو زيد، الفكر الديني عند زكي نجيب محمود، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة1996م، ص:09.

متمثلة في العادات والتقاليد والأعراف، والآداب العامة التي تميز كل مجتمع عن الآخر، وكل حضارة عن الأخرى.

ما عسانا أن نقول عن مفكرنا العربي الفذ **زكي نجيب محمود،** لقد كان الرجل منذ صباه إنسانا تواقا إلى الحقيقة، إنسانا سخّر حياته وجهده بالكلمة والقلم في كل مراحل حياته من أجل إخراج مجتمعه من التخلّف والانحطاط.

من المبحث الأول استنتجنا أن حياة مفكرنا العربي زكي نجيب محمود كانت مليئة بالنشاط الدائم، والذي توزع على البحث والتدريس والصحافة، وكان له في كل مجال إبداع وإسهام واعتراف من قبل الآخرين بما قدمه لكل مجال اقتحمه.

المبحث الثاني : الميتافيزيقا و الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود :

المطلب الأول: زكي نجيب محمود " الميتافيزيقي

لقد برزت بذور الميتافيزيقا عند زكي نجيب محمود في مرحلة الشباب ، مع العلم أنه بدأها في السنوات الأخيرة من عشرينات القرن ، وامتدت إلى غاية الثلاثينات، وهي ما نطلق عليها بالمرحلة التقليدية التي يذكرها بقوله:"**هي فترة كان الكاتب فيها مستمعا لما يقوله الآخرون أكثر منه ناطقا بما عنده"**[1].

مع العلم أنها قد شغلته منذ ذلك التاريخ، بل طوال حياته؛ أنها في الحقيقة " فكرة التقدم " التي ضم إليها فكرة " التطور "، أخذها عن الآخرين وسعى إلى الدعوة إليها، فانضم في التيار الإصلاحي الداعي إلى إصلاح واقع مجتمعه من أجل النهوض بالأمة المصرية خاصة، والعربية عامة، وجعلها في مصاف الأمم الغربية المتحضرة، مع العلم أن مفهومه للتقدم كان يعني : ((أن الحاضر قدم الماضي، ثم أضاف جديدا تلو جديد، مما أنتجته السنون، ومعنى ذلك ألاّ يكون (العصر الذهبي) وراء ظهورنا، بل يكون موضعه الصحيح هو في المستقبل الذي يعمل الناس على بلوغه، ومن هنا تكون فكرة (التقدم) محتوية على وجوب (التغيير) مع متغيرات الحضارات المتعاقبة، و(التطور) الذي ينقل صور الحياة على نحو ما هو أعلى))[2].

وكان مفهومه عن فكرة (التقدم) حينئذ يرتبط ببعض القضايا الميتافيزيقية الماورائية، كما يرتبط بمجموعة من القيم، فعلى هذا الأساس كان فكره الإصلاحي في هذا الوقت لا يرفض القسم الميتافيزيقي، ولا القسم الأخلاقي بالمعنى المطلق ولا يرفض دورهما في تحقيق النهضة وهو ما سيتبدل فيما بعد، أي في المرحلة الثانية من مراحل تفكير زكي نجيب محمود، ثم يعدل عنه في المرحلة الثالثة والتي تعتبر المرحلة الحاسمة في حياته الفكرية.

إذن ؛ فقد بحث **الأستاذ في** هذه المرحلة عن مدى ارتباط فكرة (التقدم)، ببعض **القيم الأخلاقية** مستشهدا بذلك قائلا : ((كانت فكرة **"التقدم"** التي أخذها الكاتب، اختيارا من كثرة الأفكار المعروضة على أقلام أعلامنا وأعلام الفكر من الغرب، ثورة عقلية، تركت آثار ها في نفسه إذ يصاحبها بالضرورة كتابات طويلة عريضة عميقة عن القيم الكبرى، التي بغيرها لا تتقدم حياة الإنسان خطوة واحدة، كالحرية والعدالة والمسؤولية الخلقية للفرد، مما تجعله كائنا مستقبلا لا تفرض عليه التبعية لأحد سوى ضميره، إلا أن تكون التبعية باختياره الحر، وغير ذلك من القيم التي تستوجبها فكرة التقدم))[3] .

مع العلم أن نتاج هذه المرحلة أي : " **المرحلة الميتافيزيقية** " هو مجموعة مقالات وكتب جلها من الترجمات، أما فيما يتعلق بالمؤلفات يمكن لنا ذكر ثلاثة كتب جوهرية،

---

[1] وأيضا ، قصة . 42 زكي نجيب محمود ، **حصاد السنين**، دار الشروق، القاهرة وبيروت، سنة 1991 م، ص 07
نفس، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط 2 ، سنة 1985 م، ص : 138 .

[2] زكي نجيب محمود، **حصاد السنين**، ص ص : 07 – 08 .

[3] **المصدر نفسه** ، ص : 08 .

وهي على سبيل المثال تعبر عن حقيقة الفكرة في تلك الفترة؛ فالكتاب الأول هو :"**أرض الأحلام**"، والذي يدور حول فكرة (**المدينة الفاضلة**) وصورها وأشكالها المختلفة عند بعض الفلاسفة السابقين، أما الكتاب الثاني فهو :

"**مقالة لشرح قصيدة النفس**"، والكتاب هو أطروحته العلمية بعنوان :"**الجبر الذاتي**" التي ناقشها في إنجلترا، والتي نال بها درجة الدكتوراه.

في الكتاب الأول رصد لنا **زكي نجيب محمود** مجموعة من النماذج الفكرية عن المدن الفاضلة، أو اليتوبيات التي تصورها الفلاسفة السابقون، وبدأها بمحاورة الجمهورية للفيلسوف اليوناني " أفلاطون "، التي رسم وصور فيها الأسس والمعالم الكبرى للدولة المثلى كما تخيلها؛ ثم اختار لنا نماذج أخرى، مثل يوثوبيا توماس مور ، ثم " أطلنطس الجديدة " لفرانسيس بيكون، و " جنة الأحلام "

لوليام مورس، و"**بلد لاوجود له**" لصموئيل بتلر،و"**يوثوبيا حديثة**" لهجويلز ثم أضاف إلى هذه النماذج المذكورة فيكون الحضارة العربية والإسلامية ألا وهو أبو نصر الفارابي، ويقول **زكي نجيب محمود** في مقدمة هذا الكتاب :((**عندما يضيق الإنسان ذرعا بالظروف المحيطة به، ثم يعجز عن تغييرها على النحو الذي يرتضيه، فإنه يسترسل في أحلامه، ليظفر في دنيا الخيال بما استحال عليه أن يظفر به في عالم الواقع**))[1] .

وما يستخلص من كلامه من خلال هذا الكتاب؛ فهو محاولة جادة لإيجاد واقع أحسن مما رأته عيناه من تخلف وانحطاط، فعلى هذا الأساس لاحله في الأفق كي يذكر نماذج للحياة المثلى كما تخيلها فلاسفة غربيون وعرب وهو ما يشير إليه ويذكره في آخر كتبه بقوله :"ثم تسلسلت المؤلفات الطوباوية التي اختارها صاحبها ليهرب في صفحاتها من حياة ثقلت رحاها على صدره"[2] .

وبهذا ك انت فكرة تغيير الواقع المتردي هي فكرته الجوهرية منذ مرحلته الأولى أي الميتافيزيقية مستأنسا بأقوال الفلاسفة والمفكرين السابقين، والذين يعدون بحق نماذج للحياة المثلى، وكانت هذه وسيلته وأمنيته وغايته القصوى، قبل أن يتطور ويقدم نصوصه الخاص لماهية وحقيقة النهضة والتقدم والتطور والرقي .

أما الشكل الثاني الذي سنبرزه من هذه المرحلة الميتافيزيقية، فهو في الواقع شرح وتحليل أدبي لقصيدة "**ابن سينا**" عن ماهية النفس، والتي تعرف باسم "**عينية ابن سينا**"، وهي رسالة مغرقة في الميتافيزيقا والماورائية، لأن هذه الرسالة تتحدث عن أحوال وطبائع النفس قبل نزولها إلى الجسد، فتتكلم عن حياتها السابقة الماضية في عالم الأرواح، وفيها نسمع كلمات وعبارات الإعجاب والانبهار التي يظهرها أفكارنا أثناء شرحه وتحليله للقصيدة، وهو يناقش مسألة الروح، وهو في الواقع حديث ميتافيزيقي ماورائي متغلغل بجذوره في أعماق الميتافيزيقا ونسمعه يخاطب رأي صاحبها بقوله : ((

---

[1] زكي نجيب محمود ، **أرض الأحلام** ، سلسلة كتب للجميع ، سنة 1949 م ، المقدمة ، ص : 05 .

[2] زكي نجيب محمود ، **حصاد السنين** ، ص ص : 71–72 .

أذن مني يا صديقي، واستمع إلى هذه القصة الممتعة والرائعة التي يرويها ابن سينا عن الروح، وما أدراك ما الروح ؟ هذا السر العجيب الذي سرى واستكن بين أحنائك))[1] .

لقد نشر **زكي نجيب محمود** هذه المقالة بداية في منتصف الثلاثينات ، ثم ضمها فيما بعد في أحد كتبه في المرحلة الثانية من مراحل تفكيره، وهي المرحلة العلمية التجريبية والوضعية المنطقية، وعلق عليها بعدما تراجع عن هذا الاتجاه بقوله: **"كتبت هذه المقالة من أكثر من عشرين عاما، كتبها الكاتب وهو في صدر الشباب، كتبتها ونشرتها منذ أكثر من عشرين فيما أذكر، ولذلك سيراها القارئ نشازا في نغمتي الفلسفية الراهنة"**[2]، وهي تعد نشازا في مرحلة الوضعية المنطقية التي تنبذ أي كلام يرتبط بالميتافيزيقا أو ما وراء العالم المادي الحسي؛ **أما الشكل الثالث،** فهو يتمثل في أطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، وكانت بعنوان:**"الجبر الذاتي"**، أي في أربعينيات القرن عندما ذهب إلى إنجلترا كطالب، وعلى الرغم من أن ملامح التغير بدأت تظهر بشكل واضح على مستوى تفكيره العلمي والفلسفي، إلا أن موضوع رسالته أو بالأحرى موضوع أطروحته كان ما يزال ينوء بالأفكار الميتافيزيقية والماورائية، أي لا زال في هذه المرحلة يسيطر عليه الفكر الفلسفي التأملي المجرد، أي البحث عن الميتافيزيقا والماورائيات، فقدم في أطروحته العلمية معارضة شديدة اللهجة إلى اتجاهين فكريين في معالجتهما وتحليلهما لإشكالية النفس البشرية، هما مذهبا (**ديفيد هيوم**) في المعرفة، ومذهب السلوكيين في ميدان علم النفس[3].

لذلك ، فإن المؤلف قدم تعريفا جامعا وواضحا للنفس عارض به المنهج الحسي عند المفكر الإنجليزي **" ديفي د هيوم"**، على الرغم من أنه سيسير على منواله فيما بعد، بالإضافة إلى ذلك لقد عارض المؤلف كذلك المدرسة السلوكية التي اعتمدت في مناهجها على أن العلوم الطبيعية قادرة لوحدها على تغيير جميع ظواهر السلوك الحيواني والإنساني والتنبّؤ به مستقبلا؛ كما قال **"جون واطسون"** عالم النفس الأمريكي، وهو في مع ارضته لهذين التيارين اللذين سيتأثر بهما فيما بعد، ويصر على أن الإنسان يمكن معرفته بناء على هذه المناهج التجريبية؛ وكان تحليله لهذه النظرية هو تحليلا لنظرية ميتافيزيقية ماورائية إلى حد بعيد جدا[4]؛ وهذا في الحقيقة ما يؤكده أحد الباحثين والدارسين، عندما يتصفح هذه الأطروحة هي أصلا دراسة ميتافيزيقية تهتم بالجانب الماورائي اللاحسي في جوهرها؛ وهذا على الرغم من أن **زكي نجيب محمود،** سيكون لا محالة من الأوائل وأكبر أعداء الميتافيزيقا شكلا ومضمونا، أما في هذا المؤلف فلقد تطرق فيه قضية النفس والذات، والعقل والخبرة، والانتباه، والفعل الأخلاقي والإرادة العامة، والعلاقة بين الفعل

---

[1] زكي نجيب محمود ، **قشور ولباب** ، مقالة (عينية ابن سينا) ، دار الشروق ، 1981 م ، ص : 197 .

[2] **المرجع السابق** ، المقدمة ، ص : 10 .

[3] زكي نجيب محمود ، **مقدمة الجبر الذاتي** ، تر :إمام عبد الفتاح إمام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ص:04

[4] إمام عبد الفتاح إمام ، **المرجع السابق** ، مقدمته ، ص : 29 .

الإرادي والفعل الأخلاقي، إلا أنه تراجع فيما بعد ورأى أنها مجرد آراء جوفاء، ما هي إلا أمور ميتافيزيقية لا تقدم مدلولا وتعريفا واضحا ودقيقا، لأنها قضايا ومسائل فارغة من أية معنى ولا مدلول حسي ومادي[1].

فالدارس إذن؛ لهذه الأطروحة يشعر للوهلة الأولى أن هناك بعض الملامح النقدية التي وجهها مفكرنا العربي **لنظرية دفيد هيوم** الخاصة بالمعرفة قائلا: **"يمكن أن تثار ضد هذه النظرية اعتراضات كثيرة، فهي لا يمكن أن تكون مقنعة، فلقد أباح (هيوم) لنفسه أن يستخدم فكرة العقل بوصفه كائنا له وجود مستقل رغم أنه ينكر عليه هذه الصفة"**[2] .

وفي سياق آخر يقول زكي نجيب محمود: **" نحن لا ن ستطيع أن نوافق" دفيد هيوم " فيما ذهب إليه، من أن الذات لا وجود لها"**[3]، فإذا كان في هذه المرحلة – الميتافيزيقية – قد وجه نقدا شديدا إلى **المفكر الإنجليزي ديفيد هيوم** حول نظرية المعرفة متبنيا الموقف الميتافيزيقي، ومعارضا بذلك الاتجاه المادي الحسي التجريبي ، إلا أنه في المرحلة الثانية سيظهر التغيير على فكره ويتخذ من الاتجاه الحسي التجريبي المفكر الإنجليزي **ديفيد هيوم** رائدا للحرك الفلسفية التي ينتمي هو نفسه إليها، وهذا ما سنتطرق إليه بالدراسة والتحليل فيما بعد.

هذه هي الصورة الميتافيزيقية لفكر **زكي نجيب محمود** إنها ملتحمة في جانبها الفلسفي وجانبها الأدبي، قبل أن ينتقل إلى المرحلة الثانية التي تطور فيها فكره بشكل واضح إلى مذهب آخر، وهذا الانتقال قد أحس به أثناء رحلته الدراسية إلى إنجلترا – لندن – كطالب في الفلسفة، وواجه حضارة قوية، تلك الصدمة أفرزت له مدى التفاوت الموجود بين واقع الغرب وواقع أمته كما تركها؛ وهذا ليس بشيء جديد مع المفكر العربي، بل هناك من تعرضوا إلى نفس الصدمات في هذه القضايا الحضارية، مثل **رفاعة الطهطاوي**[4]، عندم اسافر إلى فرنسا وهو لا يعرف من العلم إلا العلم الديني الذي تعلمه في الأزهر الشريف، ثم عاد إلى الوطن الأم مصر محاولا نقل الحضارة كما رآها ماثلة هناك شكلا ومضمونا، فأقام مشروعات علمية وتعليمية[5]، فقام بإنشاء المدارس على الشكل الأوروبي وضم إليها العلوم العربية، كما أدخل أشكالا وأنماطا جديدة من العلوم، وهذه المسألة تكررت لدى الكثيرين من المفكرين العرب ومنهم **زكي نجيب محمود**، الذي عاد من بعثته العلمية التي قضاها في إنجلترا كطالب علم، محاولا بذلك إصلاح حال أمته المتردي، مقدما بذلك بديلا آخر ألا وهو محاولة إقامة نهضة شاملة وجديدة مطابقة لما رأته عيناه في الغرب؛ أو بعبارة أخرى

---

[1] عبد الباسط سيدا ، **الوضعية المنطقية والتراث العربي** ، نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي ، تقديم : طيب تزيني ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، سنة 1990 م ، ص ، ص : 38–41 .

[2] زكي نجيب محمود ، **الجبر الذاتي**، ص : 33 .

[3] زكي نجيب محمود ، **الجبر الذاتي**، ص : 33 .

[4] جوزيف حجار ، **أوروبا ومصير الشرق العربي** ، ترجمة : بطرس الحلاق وماجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1976 م، ص : 35 .

[5] ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة** ، تر/ كريم عزقول، دار النهار، بيروت، ص :99 .

محاولة نقل التجارب والخبرات والمهارات التي كانت سببا رئيسيا للنهضة والتطور التكنولوجي في الغرب على المجتمع المصري خاصة والعربي عامة حتى يلحق بالركب الحضاري الذي يعتبر أمل وغاية كل مفكر عربي .

إن مفهوم **زكي نجيب محمود** الجديد حول النهضة لسبب إعادة تراث الأسلاف والأجداد؛ إنما هي نهضة تتخذ نفس العناصر الموجودة في المجتمع الغربي، فكانت غايته من النهضة في الوقت بالذات، هو التوجه الكلي والمطلق نحو الغرب فكرا وحضارة وقوة، وفي هذا يقول : "هي الصحوة التي تؤدي بنا إلى القوة بعد ضعف أصابنا، والقوة لا يفهم لها معنى إلا بالقياس إلى ما يستطيعه المنافسون؛ والقوة التي نبتغيها متعددة الفروع؛ فهي في العلم وفي الإنتاج وفي إرهاف الذوق وفي القتال، وفي سرعة الأداء وفي كل ما تراه سبيلا إلى إنسان حفزت قدرته الفطرية المكنونة إلى حدها الأقصى"[1]؛ فملامح وأبعاد هذه المرحلة الثانية هي التي تكون موضوع كلامنا فيما بعد.

المطلب الثاني: زكي نجيب محمود " المنطقي الوضعي

تمثل هذه المرحلة بداية زكي نجيب محمود قبل عودته من البعثة العلمية إلى إنجلترا – لندن، عندما تعرف على الوضعية، ولقد اطّلع وقرأ عن **"آير"** واستمع إلى محاضراته في مناقشة وتحليل وشرح هذا المذهب، ومن أبرز وأفضل الكتب التي درسها وقرأها في هذا السياق كتاب صغير جدا معدود الصفحات تحت عنوان: (**اللغة والحقيقة والمنطق**)[2] .

وهذا الكتاب أبرز فيه " آير " اتجاهه الوضعي، ومنذ ذلك التاريخ أخذ مفكرنا بهذا الاتجاه الوضعي؛ مع العلم أن هذه الفترة استمرت مدة من حياته الفكرية والعلمية، بحيث امتدت إلى عشرين عاما[3]، أي من سنة 1950 م إلى غاية 1970 ففي هذا التاريخ بالذات أعلن صراحة رفضه الواضح للميتافيزيقا، حيث يقول عنها **زكي نجيب محمود** : " لما كان المذهب الوضعي بصفة عامة، والوضعي المنطقي الجديد بصفة خاصة، هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمي كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم، فقد أخذت به أخذ الواثق بصدق دعواه، وطفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات فأمحو منها لنفسي ما تقتضي مبادئ المذهب أن أمحوه، وكالهرة التي أكل تبنيها، جعلت الميتافيزيقا أول صيدي، جعلتها أول ما أنظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية؛ لأجدها كلاما فارغا لا يرتفع إلى أن يكون كذبا"[4].

---

[1] زكي نجيب محمود، **عربي بين ثقافتين**، مقالة (جمود الفكر ما معناه ؟)، دار الشروق، بيروت والقاهرة، سنة 1990 م، ص ص:307–308.

[2] زكي نجيب محمود، **أفكار ومواقف**، مقالة: "دكتوراه في الفلسفة"، ص: 31.

[3] زكي نجيب محمود، **قصة عقل**، دار الشروق، سنة 1983 م، ص:60.

[4] زكي نجيب محمود، **المنطق الوضعي**، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، سنة 1951 م، من المقدمة

إن كلاما من هذا القبيل لا يحتاج إلى تبرير، لأنه واضح وصريح، فالمفكر العربي يعلن تمسكه بمبادئ الوضعية المنطقية ، ورفضه وتخليه عن الميتافيزيقا التي لا ترقى أو ترتفع إلى مستوى الكذب كما قال في النص الأصلي السالف، لأن الكذب في تصور زكي نجيب محمود كلام قريب من درجة المعقولية نوعا ما، إلا أن الواقع والوقائع ترفضه وتنبذه شكلا ومضمونا.

أما فيما يتعلق بالميتافيزيقا فلا يمكن بأي حال من الأحوال قبولها، بل حتى تصورها إطلاقا، لأنها كلام فارغ وخال من أية مدلول، لذا نجده يقول: " لقد جئت والفكرة عندي عن الفلسفة أنها عميقة بغموضها، وأحسبني سأعود وقد تغيرت هذه الفكرة عنها، فتصبح الفلسفة عميقة بوضوحها إن نظرتي إليها آخذة في التحول، وأول مراحل هذا التحول أني قد أصبحت على رأي بأن الفلسفة تحليل للتوضيح"[1] .

تأسيسا على ما سبق ذكره، كان يتصور أن المعاني كلما كانت غامضة، كانت في الحقيقة عميقة جدا، فعلى هذا الأساس كان يرى أن مواضيع الفلسفة غامضة ومبهمة إلى حدٍ بعيد بسبب عمقها، لكنه فيما بعد تحول عن فكرته ورأيه إلى آخر قوامه؛ بل إن وظيفة الفلسفة هي فقط توضيح المعاني؛ معاني العلوم الأخرى، وبذلك أصبحت الفلسفة عنده طريقة بحث بغير موضوع[2].

ومن هنا يمكن لنا القول، أن انتقال **المفكر العربي** من المرحلة الميتافيزيقية إلى المرحلة الثانية التي التزم فيها بمبادئ **الوضعية المنطقية**، والتزامه بهذه الأخيرة يعني الالتزام بمعيار التحقق الذي يعتبره المقياس الحقيقي **للوضعية المنطقية** دون غيره من المقاييس، بحيث أن القضية التي تفلت من التحقق ينظر إليها على أنها قضية فارغة وبالتالي تعتبر شبه قضية إن جاز هذا القول.

أما كيف يتم **التحقق والتأكيد** من قضية ما، فإنه يكون عن طريق معرفة (الحاضرات الحسية التي نتقبلها من الخارج لو كانت العبارة صادقة)[3] .

وبناء على ما تقدم ذكره، فلقد رفض **الأستاذ زكي نجيب محمود** العبارات الأخلاقية، لأنها لا تصلح في نظره مبررا ذلك بقوله:" لا تصلح أن توصف بالصدق أو الكذب، إذ هي لا تصور شيئا واقعا، حتى نتمكن من المطابقة بين التصوير والواقع المصور"[4].

بالإضافة إلى ذلك، لم يكتف أستاذنا بتطبيق مقياس التحقق على العبارات الأخلاقية وحدها، وإنما حاول تطبيقه على العبارات الميتافيزيقية أيضا فوجد أن: " كل قضية

---

[1] زكي نجيب محمود، **قصة نفس**، دار المعارف، بيروت، دون تاريخ، ص: 212.

[2] **المصدر نفسه**، ص: 212.

[3] زكي نجيب محمود، **المنطق الوضعي**، ص: 17.

[4] **المصدر نفسه**، ص:11.

ميتافيزيقية يتساوى فيها الإيجاب بالسلب، ومن ثم تستطيع أن ترى العبث الذي لا طائل من ورائه في المناقشات الميتافيزيقية "[1].

والسبب في ذلك حسب تصوره، أن العبارات الماورائية تتكلم عن قضايا فارغة جوفاء، بإمكان المرء أو الفرد أن يقول عنها ما يشاء، وأشياء كثيرة من هذا القبيل.

ومن أجل هذا كله، تخلى عن البحث في الأمور الميتافيزيقية، وسخر جهده كله نحو قضية مهمة ألا وهي تحليل القضايا التي يعرضها العلماء، من أجل توضيحها أكثر فأكثر؛ بالإضافة إلى ذلك لقد رأى أن **تحليل القضايا اللغوية** هو الأساس، لأنه يكشف العبارات ذات المعنى والمدلول الحقيقي، كما يميزها عن العبارات الميتافيزيقية الزائفة التي تشمل إما على كلمات غير متفق عليها، وإما تخلّ بشروط التطابق والاتحاد والتناسق اللغوي.

ورغم ذلك؛ إلاّ أنه بين لنا نوعا منها بإمكان الفلسفة أن تتعامل معه، وهي الميتافيزيقية أو الماورائية التاريخية التي تعالج وتتناول المبادئ التي تقوم وترتكز عليها العلوم نفسها بالصدق والكذب؛ إلاّ أنه قد نبه في الوقت نفسه إلى أن الفيلسوف الذي يتناول تلك المسائل بالنقد والتحليل، يكون في الواقع قد جاوز وظيفته كفيلسوف، وهو يطلق على هذا النوع والصنف من التحليل **بالتحليل الفلسفي**؛ وهو يتميز عنده عن **التحليل المنطقي** الذي يبحث في تركيب العبارة الصورية، وتصدر أهمية هذا التحليل عنده من عدم قدرة التحليل المنطقي وحده من القضاء على الماورائية، فيقول عنها **زكي نجيب محمود: " أنه يقوم بجانب واحد فيجيء التحليل الفلسفي ليجهز على البقية إذ يتناول المدركات الفلسفية نفسها "**[2].

وما عودة مفكرنا إلى تاريخ الفلسفة لينهل منه ما يبرر وجهة نظره التي تقول:" **إن مهمة الفلسفة الأولى والأخيرة هي التحليل والتفكيك".**

فمن هذه الوجهة بالذات يستدلّ – زكي نجيب محمود – بمجموعة من الفلاسفة، إذ يرى أن**: "** كلا من (سقراط)، و(أفلاطون)، و(أرسطو) في منطقه، والفلاسفة التجريبيين الإنجليز وكانط، والذي جاء بالشطر الأعظم من فلسفته نقدا – أي تحليلا – للأسس التي تقوم عليها العلوم"[3]، فلقد مارسوا التحليل حسب رأيه، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا في الفصل المتضمّن لها، والتي تتعلق بالوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود.

---

[1] **المصدر نفسه**، ص:401.

[2] زكي نجيب محمود، **خرافة الميتافيزيقا**، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1953م، ص: 155.

[3] **المصدر نفسه**، ص:36.